كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة غرداية
مجلة إسهامات للبحوث والدراسات
E-ISSN.2543- 3636 / P-ISSN.2543- 3539
http: //ishamat.univ-ghardaia.dz/index

# نزعة التديّن وأصالتها عند البشرية

أبكرعبدالبنات آدم - جامعة بحري / السودان
abaker2012@live.com

تاريخ الاستلام: 2017/01/25 تاريخ القبول: 2017/05/17

## الملخص:

تناولت الدراسة نزعة التديّن في الفطرة البشرية لما لها من دور متعاظم في توجيه وتقويم سلوك الإنسان عندما يغيب الوازع الديني، ويعتقد في المعبودات الروحية والطبيعية بحجة التقرّب إلى الله سبحانه وتعالى، على الرغم من أنّ الأديان الإلهية قد اتخذت في ذلك منهجاً علمياً توافقياً في تفسير ظاهرة التديّن . وقد خلصت إلى أنّ نزعة التديّن بدأت مع بداية الوجود البشري، كان الغرض منها تكوين الشخصية المتديّنة، وتحقيق الكمال في الاعتقاد والإذعان، والخروج بالنفس الإنسانية من متاع الدنيا إلى متاع الآخرة، على الرغم من التأثيرات البيئية والوراثية التي تؤثر في نفسية المتدين حين يريد أن يمارس عباداته. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي والتحليلي لمعرفة اللوازم العقدية التي يجب أن تتوفر عند كلّ من يحمل في جوانحه النزعة الدينية.

**الكلمات المفتاحية:** الأسطورة، التديّن، الفطرة

## Abstract

The study comprises tendency of religious in the human instinct because of their great role in directing and evaluating human behavior when the missing of religious faith, and believed in the worship of spiritual and natural protest to draw closer to God Almighty, in spite of the divine religions has taken the scientific methodology consensus in the interpretation of the phenomenon religious. Having concluded that the tendency of religious begins with the

beginning of human existence, the purpose of the formation of personal religious, and achieve perfection in belief and compliance, and out of self-humanitarian pleasures of this world to the pleasures of the life, in spite of effects of environmental and genetic influence in the psycho of the religious person when he wants to practice acts of worships. The researcher used the descriptive and analytical method to know obligatory doctrine, which must be available to each one who carries in wings of religious tendency.

**Key words**: mythe, religious, human instinct.

## مقدمة:

من السنن الكونية التي لا مناص منها هى أن نزعة التديّن صفة متأصّلة في النفس الإنسانية منذ نشأتها الأولى، وتختلف هذه النزعة باختلاف البيئة والثقافة والحضارة التي تسود في كلّ مجتمع، إذ أنّ التعاليم الدينية واضحة في هذا المجال، فالإنسان ابن بيئته فمتى ما كانت البيئة صالحة يصلح الإنسان. ولا شك في أن المعتقدات الدينية تلعب دوراً متعاظماً في تقويم سلوك الفرد في كافة الجوانب السيكولوجية التي ترتبط بالمسؤولية الاجتماعية والانتماء الديني والالتزام الأخلاقي، فالتقوى التلقائي هو الذي يدل على قوى الناحية الروحية. فالدين مؤسّسة اجتماعية لا تستغنى عنها أية جماعة بشرية مهما كانت بدائية أو متحضرة. وقد دلّت بعض الدراسات الأثارية والفسيولوجية على أن البشر حتّى في أدوار ما قبل التاريخ كانوا متأثرين بفكرة التديّن إلى أن جاءت الرسالات السماوية فأصبح الدين من أكبر المؤسّسات التي لا تضاهي قوّتها كلّ المؤسّسات الاجتماعية الأخرى، ومن هنا تنوعت حاجيات الإنسان الضرورية والحاجية والتحسنية على قرار أن للدين مستويين هما:

- مستوى يأمر الإنسان بالقيام بأعمال وأفعال معيّنة (الأوامر).
- مستوى ينهي الإنسان عن القيام بأعمال وأفعال معيّنة (النواهي).

فإذا أمعنا النظر في هذه الأوامر والنواهي نجد أنّ في جملتها جاءت لخير البشرية، ولا يخفى أنّ للدين نواحي نفسية تشجع الإنسان على احتمال المصائب والصمود في النكبات، والتفاعل مع الظواهر الكونية المختلفة، ومن هنا تتغيّر مواقف الملحدين والكافرين الذين ينكرون وجود الله، ويزعمون أنّ الطبيعة هي التي أوجدت الأكوان وتصرفت في شؤونها، فإذا أصيبوا بمصيبة جزعوا واضطربوا. أما المؤمنون الصابرون المحتكمون لأمر الله فإنّهم يرضون بقضاء الله وقدره الذي لا مرد له.

**مشكلة الدراسة:** بالرغم من أن التديّن ظاهرة فطرية في نفس البشرية، إلاّ أنَّ اعتقاد الإنسان في المعبودات الروحية والطبيعية جعله أكثر بعداً عن محور العقيدة الصحيحة. ولتصحيح المفاهيم يجب أن تثبت أنّ للدين كوامن سيكولوجية تشجع الإنسان على احتمال المصائب، والصمود أمام النكبات إذا توفرت اليقين الصادق.

**أهمية الدراسة:** إن نزعة التديّن في النفس البشرية، هي فطرة طبيعية متأصلة، غير أنها تختلف قوة الاحتمال للمفهوم باختلاف البيئة والثقافة والحضارة. فالدين كمؤسسة اجتماعية جاء لخير البشرية، له أوامر ونواه.

**أهداف الدراسة:** تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. الإلمام باهمية النزعة الدينية في النفس البشرية.

2. الكشف بأنّ تأصيل فكرة النزعة الدينية يخرج بالإنسانية من عبادة الظواهر الروحية والمادية إلى عبادة الله الواحد الأحد.

3. إبراز شمولية لفظ الدين في الأديان التقليدية والإلهية.

4. إثبات أنّ للدين مقومات وينابيع.

**فرضيات الدراسة:** تكمن فرضيات الدراسة في الإجابة على التساؤلات التالية:

1. هل هنالك علاقة بين نزعة التديّن وعبادة المظاهر الروحية والمادية؟

2. ما علاقة الدين بأدوار الفلسفة المختلفة؟

3. ما هي الأسس والمبادئ الذي يجب أن يتوفر في الشخص الذي يملك نزعة التديّن ؟

4. إلى أي مدى يمكن القول أنّ للدين أوامر ونواه؟

4. هل للدين مقومات وينابيع؟

**منهجية الدراسة:** استخدم الباحث المنهج الوصفي والتحليلي.

## تأصيل نزعة التديّن

ذهب بعض فلاسفة الأديان إلى أن نشأة نزعة التديّن عند البشرية قد مرت بمرحلتين: مرحلة التطوّر وفيها عبد الإنسان المظاهر الطبيعية والروحية. ومرحلة الاعتراف بجود الإله الأعلى وفيه عبد الإنسان الآلهة، وأدرك أن هنالك إله أعلى وإله دون ذلك، وأخيراً اهتدى إلى عبادة الإله الواحد الأحد، على الرغم من أن

الحقيقة الماثلة حسب الروايات التاريخية تؤكد أن عقيدة التوحيد التي بدأت منذ آدم عليه السلام هى أقدم ديانة للبشرية فاستدلوا بقوله تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الحقّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: 213)، اختلف المفسرون في تفسير معنى( الأمة) فمنهم من ذكر بأنهم هم الذين عاشوا في الفترة بين آدم ونوح عليهما السلام فترة عشرة قرون، وكلهم على شريعة واحدة فاختلفوا فبعث الله عزوجل النبيين مبشرين ومنذرين(الطبري1994م: 275/4). وهنالك من يرى أن الناس كانوا أمة مجتمعة على ملة واحدة ودين واحد فاختلفوا فبعث الله سبحانه وتعالى رسله وأنبياءه لهدايتهم(ابن كثير1337هـ: 275/6). وأن الدين الذي كانت عليه تلك الأمة هو دين الحق(التوحيد). فتوعد المولى عز وجل على الاختلاف لا على الاجتماع فأرسل الرسل والأنبياء ليبينوا لنا الحقائق التالية:

- إن الله خلق الإنسان منذ البداية خلقاً سوياً ومؤهلاً لعبادته قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين:4).
- عرف الله عزّ وجل نفسه على عباده فأرسل لهم رسل مبشّرين ومنذرين قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر:24).
- دعوة الرسل واحدة وأصلها واحد لقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران:102).
- دين الرسل جميعاً الإسلام قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: 85).

وقد اقتضت الحكمة أن يختلف الناس فيكون للحقّ أنصاره وللباطل أنصاره، ويدوم الصراع في مرحلة الحياة الدنيا ليعرض الجميع على ربهم يوم الحساب، وينتصر الحقّ وترتفع راية التوحيد، ويهلك الله الذين خرجوا عن طاعته، ومن دواعي الكلم معرفة الله وتوحيده. لذلك عندما أنكر المشركون دعوة الرسل عليهم السلام رد لهم الله عز وجل بقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (إبراهيم: 10). ومن هنا يمكن القول بأن نزعة التديّن في أي مجتمع تختلف باختلاف البيئة والمعرفة العلمية والعادات والتقاليد والثقافة والحضارة.

فالدين والتديّن أمر فطري لقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾الروم30، وما يشير إليه الآية أن الإنسان بدأ حياته مستقيم على الحق، أما الانحراف والاختلاف إنما جاء عرضاً لقوله تعالى: {وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}يونس19، وان استمر هذا الاختلاف والخلاف واتساع شقته إنما كان بتأثير المعتقدات القديمة. فالأديان السماوية متفقة على أن الجماعة الإنسانية الأولى لم تترك وشأنها، تستلهم غرائزها بغير مرشد أو دليل، بل تعهدتها إله السماء بنور الوحي من أول يوم، فكان أبو البشر هو أول الملهمين، وأول الموحدين، وأول المتضرعين الأوابين إلى الله سبحانه وتعالى. فالديانات الإلهية هي الأصل، ولها قدم السبق في الوجود الإلهي، وأن ما اعتراها من الديانات الوضعية والنظريات المادية، إنما هو محض شذوذ وانحراف صدر عن فئات لا تمد الفطرة الطبيعية التي فطر الله سبحانه وتعالى البشرية عليها بصلة.

ومن خلال تلك النتائج الواقعية علينا أن نسأل هل بدأت هذه الديانات السماوية واستمرت تتنزل ديانة إثر ديانة على نمط واحد، ثم انتهت وهي على هذا النمط دون تغيير أو تطوير؟ أو أم أنها بدأت على نمط خاص، ثم تطوّرت إلى أنماط مختلفة، ثم انتهت بنمط آخر هو نسيج وحده؟ الواقع أن الأديان السماوية كلها جاءت متفقة في أصول الجوهر والحقيقة كالعقيدة والشريعة: فهي جميعا تدعو إلى الإيمان بالله وحده، والإيمان بكل ما جاء عنه، والأخذ بكل ما يصل بالإنسان إلى الخير ويباعد بينه وبين الشر لقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ الشورى13، فالأصول ثابتة لا تتغيّر فالله سبحانه هو الواحد بذاته وصفاته، والرسل عليهم السلام هم الرسل بما يجب لهم وما يجوز في حقهم، والكتب المنزلة على مدى تاريخ الرسالات هي الكتب المنزلة بما لها من قداسة وتعظيم، وما جاء عن الله حق ثابت، وصدق لا ينقض، وأصول الأخلاق، والعبادات، والمعاملات، أدب متبع وطاعة ملتزمة. أما الفروع: فهي التي يعتريها التغير والتبديل، ويتناولها التعديل والتطوير، لأنها ليست أكثر من تطبيق للأصول في صور شتى، ولا بد لهذه الصور أن تختلف تبعا لاختلاف أحوال المكلفين واستعدادهم، وما يحيط بهم من عوامل وظروف فما يصلح لزمان قد لا يصلح لزمان آخر، وما يلاءم طبيعة قوم قد لا يلاءم طبيعة قوم آخرين.

وذكر بعض علماء القرن الثامن عشر الذين مهدوا للثورة الفرنسية، إلى أن الديانات والقوانين ما هي إلا منظمات وجمعيات مستحدثة وأعراض طارئة على البشرية. فالإنسانية التي عاشت قروناً متطاولة قامت حياتها على أسس مادية قبل أن تفكر في المسائل الدينية والروحية، وأن فكرة التأليه إنما ابتكرها دهاة من الكهنة والقساوسة الذين خرجوا عن طاعة النظريات المادية"(عبدالله دراز1992م: 81). وقد ذهب(جاك جان

روسو)" إلى أنَّ فكرة القانون ليس لها قيمة إذا ارتبط بالدين"( عبدالله دراز1992م: 82). هذه النظرة الساخرة التي تفصل الدين عن القانون ليست جديدة، وإنما هي نزعة قديمة كانت تتردد عند السفسطائيين من اليونانيين الذين ما برءوا يروجون في كلّ المسائل الدينية التي لا تروق خاطرهم، وقديماً زعموا أن الإنسان في نشأته الأولى كان يعيش من غير رادع قانوني ولا وازع ديني، وأنه كان يخضع لقوة الطبيعة والأرواح، ثم تدرج في عبادته إلى أن أدرك بأن في السماء قوة تضاهي قوة كلّ المخلوقات. وبنظرة فاحصة فإن نظر الإنسان إلى السماء أدرك أن هنالك قوة أزلية وأبدية لا يستطيع كائن من كان يعرف كنهها، وأن تلك القوة ترى كلّ شيء وتسمع وتهيمن بحكمتها على كلّ شيء لقوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: 11). ولقد كان في تصورهم أن هذه القوانين والديانات ما هي إلا ضروباً من السياسة التي تهدف إلى اعلاج بعض أمراض المجتمع بكل حيلة ووسيلة. وقد انتشرت هذه المقولة في أوربا لسببين أساسيين:

- الانحلال الاخلاقي الذي ساد في أروبا في أوساط بعض الطوائف الكنسية مما أثارت حفيظة المجتمعات الأوربية الأخرى.

- ظلم القوانين الوضعية التي تدعو إلى الحرية المطلقة دون أي وازع ديني.

ولم ينقض القرن الثامن عشر حتّى تبين خطأ هذه المزاعم، عندما أدرك بعض الباحثين والدارسين في مجال الأديان أن فكرة التديّن عند البشرية قديمة قدم الإنسانية، ولم تخل عنها أمة من الأمم رغم تفاوتهم في الرقي والحضارة والثقافة.فالله سبحانه وتعالى قد فطر النفس البشرية على معرفته، وجاء الدين يلبي هذه الفطرة السليمة بالاحساس الداخلي والخارجي، ولكن الفطرة كثيراً ما انحرفت فنشأت أفكار وتصورات وعبادات ومعتقدات لا حصر لها، فكانت مهمة الرسل والانبياء عليهم السلام هي تصحيح تلك الانحرافات والرجوع بالفطرة إلى سلامتها وأصلها(النشار1949م: 1).

كما أجمع بعض مؤرخي الأديان على أنه ليست هنالك جماعة إنسانية أو أمة كبيرة أو صغيرة ظهرت وعاشت ثم مضت دون أن تفكر في مبدأ الإنسان ومصيره وفي تعليل ظواهر الكون وأحداثه، سواء أكان يقيناً أم ظناً(عبدالله دراز1992م: 111). وما جاء في قصة إبراهيم عليه السلام خير دليل، لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام: 75-79). دلالة الآيات المختارة تدل أن إبراهيم لم يكن محتاراً منذ بداية الهداية إلى الحق، بل أنه كان يريد أن يصل إلى حقيقة كانت تجهلها أمته، ففكر ونظر إلى الشمس والقمر فوجد أنهما آيتان من آيات المولى عزوجل،

وهنا تكمن قوة النزعة الإيمانية في التعامل مع الظواهر الطبيعية، وبما أنه نبي فهو معصوم عن الشرك بالله، فكيف يصح أن يتوهم شخص عصمه الله وآتاه رشده ثم يأتي وينكر قدرة الله في خلقه(القرطبي1387هـ: 25/7). وقد ذكر ابن كثير أن سياق الآيات تدل على أن إبراهيم عليه السلام كان يريد أن يقدم الدليل الفطري والمنطقي والواقعي لقومه على بطلان عقيدة الشرك وعبادة مظاهر الطبيعة التي كانوا يمارسونها،كما اتبع أسلوب الاستدراج كوسيلة من وسائل الاقناع وإقامة الحجة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن(ابن كثير1337هـ: 25/7).

ومن المعلوم أن عموم الأديان لجميع الأمم لا يعني خضوع كلّ أفرادها لنزعة التديّن فلا تخلو أمة من منكرين وساخرين يحسبون الحياة لعباً ولهواً، ويتخذون الدين وهماً وخرافة، لكن هؤلاء لا يشكلون إلا جزءاً قليلاً في كلّ أمة، وهم في الغالب من المترفين الذين لا يضعون للحياة قيمة ولا يدركون أن هنالك أزمات وتحديات قد تعوق مصير الإنسانية. وقد جاء في معجم (لاروس) للقرن العشرين: " إن الغريزة الدينية هي صفة مشتركة بين كلّ الأجناس البشرية، وتختلف ممارستها حسب التقدم الفكري والعلمي للدين، وتختفي وتضعف هذه النزعة عندما يبتعد الإنسان عن التزاماته الدينية Religion Commitment"لاروس بدون تاريخ: 27). وذكر(هنري برجسون): " لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكن لم توجد قط جماعة بغير ديانة"(حبيب سعيد بدون.تاريخ: 12). بينما ذهب آخرون إلى أن الأديان وإن كانت عريقة في القدم إلا أن تقدمها الزماني والمكاني لا يكسبها صفة الثبات والخلود Immortality(عبدالله دراز1992م: 86). هذه النظرية وجدت دعاية كبيرة عند بعض أصحاب المدرسة الاجتماعية التي ظهرت في فرنسا والذين يقولون: " أن الدين صالح لكل زمان ومكان ما دام هنالك حياة"(الهاشمي1963م: 35). فالنظر إلى هذه المسائل الأزلية دليل محسوس على أن نزعة التديّن حقيقة ماثلة لكل أمة عاشت على بقاع الأرض.وقد ذكر(أوجست كونت): " إلى أن العقلية البشرية قد مرت بثلاثة أدوار في التعامل مع الفطرة السليمة هي(النشار1949م: 15):

- دور الفلسفة الدينية.
- دور الفلسفة التجريدية.
- دور الفلسفة الواقعية.

وعلى هذه الشاكلة بدأ العلماء الغربيون يعللون ظاهرة التديّن بالظواهر الكونية الطبيعية والحيوية، وتفسير الدين بمعاني أخرى مثل قوة الادراك في الحس والمشاهدة والنمو، ورفضوا كلّ تفسير داخلي أو خارجي يخرج من إطار الظواهر الطبيعية والحوادث اليومية التي ترتبط بحياة الإنسان، وهذا يؤكد غياب التفكير السليم للدين الذي يلبي حاجة الإنسان. بل استمر تطوّر الخطأ في هذه النظرية دون أن تقدم الدليل العلمي والمعرفي في تفسير الظواهر الكونية المختلفة لأنهم اعتمدوا على الفلسفات القديمة التي تقدس الروحانيات

وتنكر المعقولات ولا تؤمن بأزلية النزعة الدينية.

فالواقع الذي لا يناقض نفسه هو أن الأدوار الثلاثة التي صورها(كونت) لا تمثل أدواراً تاريخية بل هى تصورات ونزعات وخيالات تظهر حسب تطوّر الحياة. وفي هذا السياق يمكن القول أن النزعة الدينية في كلّ فرد لها وظائف تكمل بعضها البعض، ولكل واحدة منها مجالها وبواعثها. ففي الوقت الذي تفسر الحوادث العادية بأسبابها المباشرة الداخليةInternal والخارجيةExternal، يجب أن تفسر الحوادث الغير عادية أيضاً بالقضاء والقدر، لأن الشعور بالمجهول هو أمر غيبي، فإذا أردنا أن نفسر كيف وقع الحدث، يجب أن نفكر في متى بدأ وقوع الحدث؟ وليس ما نهايته، لأن البداية تمثل مرحلة الطفولة النفسية لا مرحلة النضج والكمال، ومن خلال هذه المعادلة نستطيع أن نميز بين القابيلية الانفعالية والنزعة الدينية في الإيمان بوقوع الحدث.

وقد ذهب بعض كتاب القرن الثامن عشر الذين مهدوا للثورة الفرنسية إلى أن الديانات والقوانين ما هي إلا منظمات مستحدثة، وأعراض طارئة على البشرية، حتّى قال" فولتير" إن الإنسانية التي عاشت قروناً متطاولة في حياة مادية خالصة، قوامها الحرث والنحت والبناء والحدادة والنجارة... قوامها فكرة التأليه والكهنة، والقساوسة لم ينقض القرن الثامن عشر حتّى ظهرت الرحلات إلى خارج أوربا، واكتشفت العوائد، والعقائد، والأساطير المختلفة، وتبين من مقارنتها أن فكرة التديّن، فكرة مشاعة لم تخل عنها أمة من الأمم، رغم تفاوتهم في الرقي والتقدم.

وجاء في بعض الروايات الإنجيلية إلى أن أصل كلمة الدين من دان وهو اسم عبري معناه القاضي، وهو أحد أبناء يعقوب عليه السلام. ودان يدين ودينونة تطلق على الحكم والسلطة، وقد اختص يسوع المسيح بهذه الصفة فهو الديّان الذي جاء ليخلص الناس من أعمالهم الشريرة، وحمل هذه الدينونة إلى مبدأ نهائي لا يقبل الشك والنقض والاستئناف، ووفقا لهذه الإحكام فان الإبرار سوف يدخلون في ملكوت المسيح. أما الأشرار والظلمة والكفار فإنهم يصبحون من زمرة المهرطقين (دراز1990م: 24).

كما أكد سيشرون أن الجذر تعني الرابطة أو العلاقة المشتركة بين الإنسان والإله ويعني المراقبة أو الملاحظة خاصة مراقبة الأجرام السماوية أو الإلهامات السماوية الدينية. وعلى ذات النسق يمكن اعتماد التفسيرين كما فعل القديس أوغسطين الكبير إذ تتضمن المعنيين السابقين. ولكن إذا تفحصنا كلمة الدين عند اليونانيين نجد أنها تعني الاستلهام والتكهُّن، عند الذين يمارسون الشعائر العبادية، وهذه لا تعبر بصدق عن ما تحدث به المسيح بأن ملكوت السماوات لا يأتي عن طريق التكهن، ولا عن طريق الطقوس الكلاسيكية، بل إن ملكوت السماوات يتحقق بتحرر الإنسان من الشعور الداخلي وليس بالمظاهر الخارجية، ويعتبر الفلاسفة في الفكر المسيحي أن كلمة Religion تعني علاقة متينة بين النفس الإنسانية والذات الإلهية

المقدسة، ويجب أن تكون العلاقة ثابتة غير خاضعة للتغيير أو التطوّر، وفي هذا عرف سبنسر الديانة بأنها نوع من الإحساس يجعلنا نشعر بأننا نسبح في بحر من الأسرار(بوكيت1990م: 7). أما فيورباخFeurbach فقد رد الدين إلى غريزة تدفعنا نحو السعادة. وكان برغسون يرى في الديانة نوعاً من رد الفعل، أو الهجوم المعاكس، تقوم به الطبيعة ضد ما قد يتأتى عن استعمال العقل من انحطاط في الفرد وتفكُّك في المجتمع.

أما باسستيد فقد حاول أن يوسِّع من دائرة الدين حيث بدأ مسيرته الفكرية بدراسة مشاكل الحياة الصوفية، وعناصر من علم الاجتماع الديني. فالدين في نظرته هو نشاط رمزي يتميز بأسلوب خاص، ويحمل بُعدًا عاطفيًّا، وإنه لا يراد به فقط أداء شعائر وتزكية عقائد بل هو نشاط ثقافي (دراز1990م: 54). والملاحظ أن ماكس ميلر كان أشد تضييقاً لهذه الدائرة، حتّى قال: إن الدين هو محاولة تصور ما لا يمكن تصوره والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه هو حب الله، فهذه العبارة لا تنطبق في حرفيتها إلا على نوع من الأديان يفصل بين العقيدة والعقل فصلاً تاماً، ويفرض على معتنقيه أن يؤمنوا بما لا تقبله عقولهم، ولا تتصوره أذهانهم. وهذا التعريف أقرب للديانة المسيحية دون غيرها من الأديان الأخرى(بطرس عبدالملك وآخرون1995م: 382). وينشأ الاختلاف من أن الإسلام لا يقدم نفسه كمجرد رابطة بين المؤمنين الذين يعترفون بالحقيقة ذاتها وحسب بل كمجتمع شامل ونظام دولة، يبدو من التعريفات السابقة سواء أكانت من رجال دين أو فلاسفة أنها أفرغت من مضامين الدين الأساسية، وحلت محلها مفاهيم تمثل نظرة إيديولوجية قاصرة على مجتمعات معيّنة، لذلك لم يفلح الفلاسفة في وضع تعريف جامع للدين يمكن من خلاله تجاوز المفاهيم التقليدية التي تعتمد على المدارس الغربية. ويعود هذا التعصب إلى طبيعة المدارس الفلسفية التي تخرجت منها تلك الفلاسفة، والتي انقسموا إلى تيارين (البغدادي1978م: 123):

* تيار الانتصار الأعمى والدفاع عن الديانة المسيحية، وهذا ينطبق بصفة خاصة على تعريفات الدين عند كلّ من ماكس ميلر وهيجل حتّى أضحى هذا النمط الفكري شبيها جدًّا بموقف الباحثين اللاهوتيين المسيحيين.

* تيار الاستخفاف بالأديان واتهامها في كلّ ما جاءت به، وفاء بما يزعم من احترام العقل وتقديس حريته الفكرية.

وما دام الانسان يساق من باطنه وظاهره فإن ظاهرة التديّن أمر ضروري لاسيما في الأديان السماوية التي تعتبر الايمان بالغيب جزء من الأرضية الصلبة لكل سلوك الانسان الذي يختلف عن سائر الكائنات الحية الأخرى في تصرفاته، وفي إدارة شئون حياته، وذاك هو المعني الروحي الذي به يتصور الإنسان الحقائق المحسوسة والمشاهدة. وقد نظمت الأديان السماوية رغبة ونزعة الإنسان فجعلتها بعيدة عن العاطفة

والانفعالية، كما جعلت العلاقة بين النص الديني والانسان علاقة عضوية، فلا يتدخل الإنسان في النصّ الديني بقدر ما يتعامل به تقديساً وتعبداً وتطبيقاً، وله القدرة على أن يحقق أهدافه، ويوحد أحكامه وفق المقاصد الشرعية. فإذا كان الدين هو مجموعة من القواعد الإلهية التي بعث الله بها الأنبياء والرسل ليرشدون الناس إلى الحقّ في الاعتقاد وإلى الخير في السلوك والمعاملة، للوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة، فإن نزعة التديّن تنبثق من هذه القواعد الإلهية الذي يتكون من الإيمان والاستسلام والانقياد والاعتقاد والعمل الصالح. فالله سبحانه وتعالى خالق الكون بأزليته، فأوصد أمامه باب التطلع إلى معرفة حقيقة ذاته الاقدس الذي لا يمكن للعقل أن يتخطى مجاله (شلبي1997م: 278).

وما دام العقل طرفاً في المعارف الإنسانية فأنه يجب أن يكون أكثر واقعية في تفسير المظاهر الطبيعية، لأن هذه الظواهر تخضع لناموس واحد، وهذا ما يسمى بمبدأ الإلوهية Theism، فالنظرة الدينية لجميع السنن الكونية لا تخضع لهوى النفس والعاطفة، لأنها كثيراً ما تتجاوز محور العقل أي إلى ما وراء النظرة المعتادة وهذا ما يسمى بالتوحيدMonotheism أي الاعتقاد بوجود إله واحد. وهنا تترتب الحاجات النفسية كالآتي: حاجة الحس – حاجة العقل – حاجة الروح. وأن كلّ هذه الحاجات تحتاج إلى الوضع التقويمي، بعد إدخالها في كيان النفس الإنسانية لقوله تعالى: (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً)(طه: 110).وقال تعالى: (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) (غافر: 19). ويقول (ماكس نوردوه): "إن النزعة الدينية عند البشرية هي إحساس أصيل نجده عند المتمدنين الذين يمثلون أعلى الناس تفكيراً وأعظمهم حدساً، وستبقى الديانات ما بقيت الإنسانية، وستطوّر بتطوّرها، وتتجاوب مع درجة الثقافة التي تبلغها الجماعة" (عبدالله دراز1992م: 89). فالله عزوجل هو حقيقة الوجود، ودليل وجوده هو التجربة Experiment كما في قصة يوسف عليه السلام عندما رأى أحد عشر كوكباً لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (يوسف: 4) هذه الرؤيا دلالة على قوة نزعته الدينية قبل أن تأتيه الرؤية الصالحة في المنام. وقال المفسرون: الكواكب الأحد عشر هم إخوته والشمس والقمر أبواه(الصابوني1981م: 42/2).

وهنا تظهر منهجية الذات الإلهية في الصفات الحقة التي لا تخالف قدسيته عزّ وجلّ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (ق: 38) وقال تعالى: ﴿اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة: 255). فإذا كان الإيمان هو التصديق والاذعان بمعرفة الله سبحانه

وتعالى، فإن النزعة الدينية هي الوسيلة لتحقيق الاتصال مع الله عزّ وجلّ عندما يمارس الإنسان شعائره العبادية والتعبدية، وفي هذا المنوال يقول أرنست رينان ( بدون تاريخ: 88) في كتابه تاريخ الأديان: " إن من الممكن أن يضمحل كلّ شيء في الحياة وتبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة، ولكن يستحيل أن يمحو نزعة التديّن عند البشرية، بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي الذي يريد أن يحصر فكر وتأمل الإنسان في الأوهام والخيالات والتصورات... ". فكل عمل يقوم به الإنسان ابتغاء مرضاة الله هو عبادة، وبهذا المعنى تكون حركة الإنسان في هذه البسيطة في كلّ جوانبها الروحية والمادية هو دليل على إظهار أحقية الاستخلاف في الأرض (Hazard1928: 501). ولهذا أصبح من الضروري بمكان أن يتصدى أصحاب الأديان لطغيان الذين يسعون إلى طمس نزعة التديّن تاريخياً، وهو المنال الذي يحقق للبشرية سعادة الدارين الدنيا والآخرة. ولقد نص القرآن الكريم على أن الدين صالح لكل زمان ومكان فالإقرار بالربوبية والإلوهية والاستسلام له وحده وطاعته فيما أمر به وما نهى عنه هو دليل على قوة النزعة الدينية.

ومن هنا لا يستطيع كائن من كان أن يميز بين العقيدة والعبادة، فالإيمان هو سبب في اسعاد البشرية إذا قام على قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (هانس1998م: 105). ومن هنا فإن للدين ثمة قوة دفع حقيقية في العصور التي خلت فالخضوع والطاعة من أهم ملامحه، ولا يمكن لهذه الظاهرة أن تتجدد في خضم التيارات المعاصرة إلا إذا توفرت النزعة الدينية الخالصة التي تهدف الى تغيير كلّ مقومات الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية والفكرية والثقافية. فأصالة التديّن بوصفها الظاهري هى نظام وجداني يتطلب الخشوع والاخلاص لقوله تعالى: (إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدي ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد) (البروج: 12-16). فالإنسان في نزعته الدينية يجب أن يدرك الآتي:

- أن يؤمن بأنه مسؤول عن أعماله وتصرفاته.
- أن يؤمن أنه من العدل أن يحاسب أو يثاب متى كانت أعماله صالحة، وأن يعاقب متى كانت أعماله شريرة.
- أن يؤمن بأن الله قادر على كلّ شيء، وهو الذي يسيطر على كلّ ما يحدث في الكون.

ولقد ذكر محمد فريد وجدي في مادة الدين: " من المستحيل أن تتلاشى فكرة التديّن عند البشرية لأنها أرقى ميول للنفس وعواطفها..... وفطرة التديّن تلاحق الانسان مادام ذا عقل يعقل به الجمال والقبح..." (دراز1992م: 99). وعلى هذا المنوال فإن زيادة العلم والمعرفة أياً كان نوعها هي سبب في نمو غريزة التديّن عند الإنسان وبه تحيا القلوب، فإذا أخذنا مجموعة الكواكب الشمسية التي لا ترى بالعين المجردة اكتشفت بعض

الأبحاث أنها تبلغ ما يقارب الاثنين وأربعين كوكباً ثم أثبت علماء الارصاد أن هذه المجموعة ما يقارب الألف، وعندما تقدمت الأبحاث العلمية في هذا الجانب أثبتت أن كلّ مجموعة ما هى إلا واحدة من ملايين المجموعات التي لها أجزاؤها وتوابعها، والتي تختلف في أعمارها بتفاوت حجمها وحركتها، وهكذا يستمر العلم والمعرفة في التطوّر يوماً بعد يوم ولازلنا حتّى الآن في مرحلة الطفولة من الإدراك والمعرفة.هكذا كان اتساع المعرفة غير اتساع المجهول، لأن محيط كلّ دائرة تشكل حداً له باطن وظاهر، فلا يسع العقل إلا التسليم بأن وراء كلّ مرحلة عالم الشهادة والغيب لا يدرك الإنسان نهايتها الزمانية والمكانية لقول تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء: 85). ولهذا أصبح من المعلوم بأن في الوجود حقائق الأشياء لا يدركها الحس المجرد والحس المجهز بأقوى الادوات الالكترونية والمقاييس والموازين، فرغم تقدم العلوم التجريبية ومناهجها وأدواتها إلا أنها لا تكافيء قوة الدين الذي هو جملة من المدركات العقلية والاعتقادية والأفعال الخاصة بالنفس من جراء حبها لله وعبادتها إياه وطاعتها لأوامره. ومادام الدين هو أوامر ونواهي فمن الضرورة أن يتحلى الإنسان بالصفات التالية:

- قبول الأحكام الشرعية.
- الإيمان بالقيم المطلقة.
- الاعتقاد بأن هنالك قوة روحية إلهية أعلى من قوة الإنسان.

وحتى تكون النزعة الدينية متأصلة في النفس البشرية يجب أن تتوفر فيها المقومات التالية:

**مقوم الانتماء الديني:** ذهب بعض علماء النفس الديني إلى أن الأفراد الذين يهتمون بمصائرهم، ولديهم شعور بالمسؤولية الاجتماعية وهؤلاء يعرفون بأصحاب التوجه الداخليInternal orientation. بينما الأفراد الذين يعتقدون أن مصائرهم تحت رحمة القدر، وأنهم يتمتعون بالمسؤولية الكاملة عما يحدث لهم يطلق عليهم أصحاب التوجه الخارجيExternal orientation. ويقصد بهذا المفهوم أن هنالك أفراداً يعزون نجاحهم إلى مجهوداتهم الداخليةInternal efforts أو إلى قوتهم الخارجيةExternal forces فالشخص ذو الاعتقاد الداخلي يستطيع أن يحدد ما سوف يحدث له، وبالتالي يستطيع أن يتحكم في مصيره(الجلوس في الامتحان). بينما الفرد ذو الضبط الخارجي يعتقد أنه تحت رحمة القدر وليس لديه القدرة على السيطرة على الأحداث التي تقع له (كالأمراض). وهنا يمكن القول أن الأفراد في كلا الجانبين يحملون بصيص من الثقة في أنفسهم غير أنهم محتاجون الى مفاهيم دينية وعلمية كي يضبطوا سلوكهم وتوقعاتهم، هذا إلى جانب إشباع دوافعهم النفسية بأنماط السلوك الرصينة.لأن كلما كانت أنماط السلوك واضحة المعالم، كلما كان التنبؤ أوضح، بل

يمكن التمييز بين السلوك القويم عن غيره، فالشخص الذي يستطيع تحديد نزعته الدينية يكون أكثر دقة في تصرفاته.

وهنا يتطلب معرفة المتغيرات التي تؤثر في سلوك الأفراد، وهى على النحو التالي:

- الطاقة السلوكيةBehavioral potential وهى إمكانية حدوث أي فعل يقوم به الفرد في ضوء الاستجابة لموقف ما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ويشمل هذا السلوك أفعال حركية كالعبادة (Rotter1954: 105).

- التوقع Expectancy وهو احتمال ذاتي يقوم على المشاعر الذاتية الموضوعية لتعزيز بعض السلوك.

- قيمة التعزيزReinforcement value: وهى إدراك الفرد لتعزيز التوقع بالجانب الايجابي أو السلبي، وهنا تتوقف أهمية النزعة الدينية على قدرة الفرد في السيطرة على الأقدار التي تقع عليه.

- الموقف السيكولوجيPsychological situation وهو عبارة عن تطوّر سلوك الفرد بقدر التفاعل مع الظروف البيئية الخارجية والداخلية التي تساعد في إشباع حاجياته.

**مقوم الالتزام الديني:** وهو إتباع الفرد لكل التعاليم الدينية من مصادرها المختلفة من خلال علاقاته بربه وعلاقاته مع الآخرين بعد توفر اللوازم التالية:

اللازم الايماني أو العقدي: كما جاء عن النبي ﷺ عندما سأله جبريل عليه السلام عن الايمان قال: " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقضاء خيره وشره"(النيسابوري1377هـ: 8).

اللازم التعبدي: وهو أصل الدين، فمن أجله خلق الله الخلق، وخلق الجنة والنار، وأعطى صفة السعادة والشقاء بجانب الالتزام بالدين لقوله تعالى: ﴿أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ (هود: 2) فدلالة الآيات تدل على أن منهجية العبادة شاملة لا تختصر على ممارسة الشعائر التعبدية التي تواضع عليها الناس بل تشمل كلّ الأركان العبادية من الأعمال والأفعال لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: 162). فاللازم التعبدي يشمل كلّ لوازم الحياة التي ترتبط بالنزعة الدينية لكل إنسان سراً وعلانيةً في كلّ زمان ومكان(قطب1983م: 66) وعندئذ يكون الفرد المشبع بالنزعة التعبدية قريب من الذين قال فيهم جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (فصلت: 30)

اللازم التشريعي: وهو أمر إلهي يختص بعباده باعتباره المصدر الأول والأخير في تحكيم شرعه وإتباع

منهاجه قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً﴾ (النساء: 105). فعندما كانت الجاهلية الأولى لا تستمد الشرع من الأحكام الإلهية، ساءت الحياة واختلت الموازين فجاء الإسلام مصححاً لكل تلك الانحرافات مستنداً على أحكام التشريع (سيد قطب1982م: 623). فالله عزوجل أنزل حكمه القاطع وقال قوله الفصل في كلّ أمر من أمور الحياة لقوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (الشورى: 10). ومن دواعي النزعة الدينية أن يلتزم المؤمن بالأحكام الشرعية، فجاءت الآيات القرآنية مبينة ومؤكدة بأن الحكم الشرعي هو الفصل في الأمور كلها قال تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (النساء: 59)، وقال تعالى:وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الحقّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة: 48).

اللازم الأخلاقي: الخلق هو هيئة راسخة في نفس الإنسان تصدر من خلال الأفعال الإرادية والإختيارية، فإذا ما روضت هذه الهيئة على إيثار الفضلية وحب المعروف والرغبة في الخير وكراهية القبيح كانت الخلق حسن.أما إذا ما روضت بغير ذلك كانت الخلق قبيح، ومن دواعي إصلاح البين بين المؤمنين أن يؤصلوا سلوكهم وأخلاقهم، ومن هنا دعا الإسلام إلى التحلي بالخلق الحسن وتنميته إسوة بالرسول ﷺ قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (الأحزاب: 21) وقد أمر المولى عزوجل بمحاسن الأخلاق لقوله تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (فصلت: 34). كما جعل الأخلاق الفاضلة سبباً في دخول الجنة لقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: 133). وقد بين ﷺ محاسن الأخلاق حيث قال: " ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق" وهذا ما بعث عليه رسول الله ﷺ حين قال: " إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق" وقال: " إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً" فالخلق أنواع، خلق في الحلم والصبر والشجاعة والعدل والاحسان (الجزائري1998م: 193). وعلى ضوء هذه الصورة الناطقة والامثلة الحية يعيش المؤمن تحت نزعته الدينية صابراً مكرماً شجاعاً محتملاً، لا يدفع المكروه بالمكروه ولكن يدفع السيئة بالحسنة ويعفو عن كثير لقوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (الشورى: 43) وقال تعالى: {وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم: 12).

اللازم الفكري: وهو من اللوازم الضرورية لأنه يرتبط بالمنهج الرباني، الذي يدعو كلّ مؤمن أن يتأمل ويتدبر في ملكوت السموات والأرض ليرى الدقة المتناهية في النشأة والخلق لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (ال عمران: 191)، وقال تعالى: وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كلّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الرعد: 3). فالذي يحمل في طياته النزعة الدينية ينظر إلي الكون بنظرة فاحصة وبمنهج مضبوط أساسه القرآن والسنة. وعلى ذات المنوال يجب أن يتحلى المؤمن في تفكيره بالصفات الآتية:

النقد الذاتي: ويقصد به ذلك الاسلوب الذي يحمل صاحبه إلى تحمل المسئولية في جميع ما يصيبه من مشاكل وعوارض (علي عبدالعزيز1999م: 564). وهنا يقرر القرآن الكريم أن النقد الذاتي بمثابة قاعدة أساسية في جميع النواقص والأخطاء الفردية الاجتماعية التي يرتكبها الفرد بين الفينة والأخرى لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (النجم: 32). ويرى الباحث أن القلب هو مركز الثقل الذي يتم فيه تفاعل الذات الإنسانية في كلّ ما يريده من توجهات وتشريعات، كما هو شأنه شأن العقل في استساغة وتذوق الأمور قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: 46).

التفكير السليم: هو ذاك الأسلوب الذي يتناول جميع الظواهر النفسية، وقد ربط القرآن الكريم بين مستوى العلم والمعرفة ومستوى التفكير، فظاهر العلم هو الاحاطة بحاضر الموضوعات ومكوناتها الرئيسية وتفاصيلها الدقيقة، أما الرسوخ في العلم فهو الإلمام بماضي العلوم ومكوناتها وتفصيلاتها. أما ظاهرة العلم فهو العلم السطحي أو الجزئي الذي يقف عند الظواهر المرئية (حسن2001م: 65). فالتجديد الذي ذكره القرآن الكريم هو التفكير السليم الذي يحمل في جوانحه التحرر من التبعية والتقليد الأعمى كما في قصة قوم ابراهيم عليه السلام الذين أنكروا عبادة الله عزوجل، لقوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ (الزخرف: 22).

التفكير اليقيني بعيداً عن الظن والهوى: لقد دعا القرآن الكريم الذين يحملون وازعاً دينياً أن يكونوا موضع ثقة بين أنفسهم وغيرهم، وأن يتدربوا على تحمل المسؤولية، وعدم التسرع في أخذ الأحكام إلا بعد ظهور البينة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (الحجرات: 6).كما حث القرآن الكريم على طلب الدليل المنطقي والعلمي في الأمور كلها،

لقوله تعالى{وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الحقّ شَيْئاً﴾ (النجم: 28).

أن يتدرب على التفكير الجماعي بدل الفردي، لقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: 103).

ينابيع النزعة الدينية: تمتاز النزعة الدينية بالعديد من الينابيع الفطرية التي تساعد في تأصيل مفهوم فكرة التديّن عند البشرية،على ضوء الظواهر النفسية الباطنية والظاهرية للمؤسسة الدينية الاجتماعية والتي تتمثل في الآتي:

الفطرة السليمة: إن نزعة التديّن هى حقيقة واقعية اجتماعية رافقت البشرية منذ نشأتها حيث لم تخل جمعية بشرية من دين يلائم طباعها ويوافق بيئتها، وقد قضت البشرية قروناً طويلة لم ينفك من محاولة معرفة منشأها ومصيرها. وعندما بدأ الانسان يتعامل مع الظواهر الطبيعية المحيطة به بهرته الاسرار الكونية التي تسير على نسق واحد فأدرك أن هنالك قوة غير طبيعية مسيطرة على هذا الكون.ثم اهتدى إلى سلم الاعتقاد بوجود الله عزوجل لقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: 30). فالله سبحانه وتعالى خلق البشرية خلقاً سوياً وفضلها عن سائر مخلوقاته، بنعمة العقل والقدرة على التعقل والادراك، فكان حقاً لله أن يحاسب الانسان على ما يفعله خيراً أو شراً لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ (الزلزلة: 7-8). ومن دواعي الفطرة السليمة أن يكون المؤمن قوي الإيمان قال تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحقّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: 53). فالله سبحانه وتعالى قد حسم أمر الفطرة السليمة فدعا الانسان إلى التدبر والتأمل في ملكوته لقوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾ (النساء: 82)، ولقول رسول الله ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" (العسقلاني 1213هـ: 1234). فالإيمان هو ثمرة هذا التفاعل الفطري، والقلب بحاجة الى عناية فائقة ونصيب كبير من الاهتمام حتّى لا يصدأ، وبالنظر إلى هذا الكون من نظام دقيق ومحكم يقتضي وجود عقل رصين وفطرة سليمة تدحض وتبطل كلّ الافتراءات والشكوك التى تتحدث عن بشرية القرآن الكريم..... وغيرها.

يقظة الضمير والوجدان: ذكر بعض مؤرخي الأديان أن جميع الاقوام المتحضرة والبدائية كانت تؤمن بوجود قوة فوق قوة الطبيعة.فقد أشار(بنجامين كونستان 1975م: 12) في كتابه تاريخ الأديان: " إن الدين من

العوامل التي سيطرت على البشرية منذ قرون طوال، وأن الاحساس بالنزعة الدينية من خواص الطبيعة البشرية..."، كما اعتبر بعض علماء الاجتماع أن نزعة التديّن من أهم القواعد التي قامت عليها الجمعيات البشرية، لأنها تتعلق بالوجدان العقلي في شكل أوامر إلهية باطنة وظاهرة. ولتكملة تلك الأدوار لابد من إيقاظ الضمير والوجدان عند أداء الواجب فمن اقترف ذنباً عليه إظهار الندم، لأن التعاليم الدينية تتأصل في النفس الإنسانية بالممارسة والتطبيق.

قوّة النزعة الإيمانية: إن الدين هو نظام إلهي اجتماعي تقوم على الحكمة البالغة والتعاليم السامية، فإن الحاجة إلى الدين أشد وأقوم، فكلما نظر الإنسان إلى نفسه كلما زادت حاجته إلى الدين لكبح هوى النفس الذي يخالف الدين لأنّ النفس أمارة بالسوء لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (يوسف: 53). ويرى الفيلسوف(شوبنهار): " أن الحياة عبارة عن رغبات، وأن جدال الناس حولها جعلهم يؤثرون على أنفسهم، وكل فرد من أفراد المجتمع يريد لنفسه المنفعة، فجلبوا على حب النفس والهوى" (الهاشمي1963م: 41). ونخلص من ذلك إلى أنه إذا توفرت النزعة الايمانية الخالصة يستطيع كلّ فرد أن يكبح جماح شهواته ورغباته، والاحتفاظ بالاخلاق الفاضلة التي تجعل الانسان في مصاف العصمة الخالدة. فالدين هو الذي ينظم حال معتنقيه ويكفل لهم الحرية في ممارسة شعائرهم العبادية والتعبدية قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: 53). فعلى المؤمنين أن يحمدوا الله في رحمته ومغفرته لذنوبهم دون قيد أو شرط مادي، والتوبة والعمل الصالح، فما من سورة في القرآن الكريم إلا دعت الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتوجه الى الكمال في الإيمان قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون: 96).

فالتديّن من الظواهر الاجتماعية التي وجدت في المجتمعات البشرية منذ القدم، وقد ذكر محمد عبده (1980م: 62): "أنَّ كلّ إنسان مهما علا فكره وقوي عقله، أو ضعفت فطنته، وانحطت فطرته يجد نفسه مغلوب لقوة أرفع من قوته، وقوة من حوله من الكائنات الأخرى، وأنه محكوم بإرادة تصرفه وتصرف ما هو فيه من العوالم، قد لا تعرفها معرفة العارفين، ولا تتطرق إليها إرادة المختارين، تشعر كلّ نفس أنها مسوقة لمعرفة تلك القوة العظمى، فتطلبها من حسها تارة، ومن عقلها تارة أخرى، ولا سبيل لمعرفة كنهها". وقد تتجلى ظاهرة التديّن في الآتي:

- أولا: أن ظاهرة التديّن ظاهرة عامة تشترك فيها كلّ الجماعات البشرية على مدى تاريخها الطويل.
- ثانيا: أن مبعث هذه الظاهرة، هو إحساس كلّ فرد أو جماعة بأن هناك قدرة أو قدراً تتصرف فيه،

وفيما حوله تصرفاً يلفت النظر ويبهر العقل.

- ثالثا: أن العقول حينما تبحث عن الحقيقة يجب أن يكون لها مدد من السماء، حتّى تتفق على شيء واحد تؤمن به وتخضع له (الوحي).
- رابعا: يجب أن يكون الإنسان ملتزماً في حياته الدنيا ويمارس كافة شعائره دون الاعتماد على الآخرين حتّى لا يضل ولا يشقى.
- خامسا: اقتضت حكمة الله سبحانه تعالى أن يكون رحيماً بعباده، وأن يرسل إليهم رسلاً مبشّرين ومنذرين، يدعونهم إلى الدين الحق، وإلى الطريق المستقيم.

ولقد انقسم مؤرخو الأديان حول ظاهرة التديّن إلى فريقين (الهاشمي1963م: 21):

* فريق ذهب إلى أن الدين بدأ في صورة الخرافة والوثنية، وأن الإنسان أخذ يترقى في دينه على مدى الأجيال حتّى وصل إلى الكمال فيه بالتوحيد، كما تدرج نحو الكمال في علومه وصناعته.

* فريق ذهب إلى بطلان المذهب الأول، وذكر أن عقيدة الخالق هي أقدم ديانة ظهرت في البشرية، ولا يمكن أن تنفك عنها كلّ الجماعات والأقوام. أما الوثنية فهي حالة طارئة، أو مرض أصيب البشر عندما خرجوا عن طاعة الخالق، وهذه النظرية تسمى بنظرية ( فطرية التوحيد وأصالته) التي انتصر لها جمهور من علماء الأجناس، وعلماء الإنسان، وعلم النفس(دراز 1970م: 108).

فإذا تتبّعنا الأطوار التي مرت به البشرية في مراحلها المختلفة، نجد أنها أشبه ما تكون بالأطوار التي مرت به العقيدة في مراحلها الأولى، والتي بدأت بمرحلة العبادة النقية، ثم تدرجت إلى مرحلة الرموز والطقوس عندما عبد الإنسان النار والمظاهر الطبيعية الكونية، وأخيراً عبد الإنسان الوثن والصنم، وبتقدم الإنسان أدرك حقيقة الخير والشر وأن الخالق هو الله سبحانه وتعالى، ومع مضي الأيام أدرك العلماء أن أساس كلّ شر هو عبادة غير الله، وقد يحتاج الإنسان في كلّ مرحلة من هذه المراحل إلى غذاء روحي يتناسب مع ما هي عليه من درجة النمو الفكري. وعندما بلغت البشرية تمام نضجها وغاية رشدها أرسل الله رسله وأنبياءه ليحملوا هذا الدين إلى البشرية كافة لقول رسول ﷺ: " مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنت بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة. قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين" (العسقلاني1213هـ: 1271) معنى هذا، أن الديانات السماوية تشكل في مجموعها صرحاً واحداً، اشترك الأنبياء جميعاً في بنائه، فما من نبي بعث إلا وقد وضع فيه هذه اللبنة، هكذا شاءت حكمة الله تعالى أن يرسل النبي ﷺ بدين أعلى ما يكون هداية وإرشاداً، وأسمى ما يكون تشريعاً وتبصيراً لقوله تعالى: ﴿... الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ

نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ المائدة3، فهو خاتم الأنبياء والمرسلين لقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ (الأحزاب: 40)، وقد جاءت رسالة الإسلام للناس كافة، للأسباب التالية:

* أن الإسلام جاء ديناً وسطياً بين غيره من الأديان السماوية، فيه من كلّ دين أيسره وأحسنه وأكثره ملائمة وتمشياً مع الطبائع المختلفة لبني الإنسان، فمثلاً عقوبة القتل العمد في الشريعة اليهودية القصاص، وفي الشريعة المسيحية العفو، فجاءت شريعة الإسلام تخير ولي الدم بين القصاص والعفو، فهذا أمراً وسطياً، فمن الأخلاق ما لا يشفي غلها إلا القصاص، ومنها تميل إلى التسامح وتأخذ بالعفو، وفي الشريعة الإسلامية ما يساير طبيعة هؤلاء وأولئك.لأن في القصاص حياة لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 179). فالزواج أطلقته الشريعة اليهودية، ولم تقيده التوراة بعدد معين من النساء، وقصرته الشريعة المسيحية على امرأة واحدة، لأن الأصل فيها هو التبتل. أما الشريعة الإسلامية فقد جاءت بتشريع وسط، تشريع يرضي رغبة من يريد التعدد، ولكن بحدود وقيود، فأباحت للرجل أن يجمع بين أربع زوجات فقط، بشرط أن يعدل بينهن، وقصرت من لا يأمن على نفسه العدل على زوجة واحدة فقط لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ﴾ (النساء: 3)، وكان الهدف والغاية من وسطية الإسلام في تشريعه هو التيسير ودفع المشقة شريطة العدل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة: 143)، وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: 110).

وخلاصة القول، فالدين الإسلامي ديناً منطقياً رفع من قيمة العقل، وأعطى للإنسان الحرية التامة في التأمل والتدبر في كلّ ما يكلف به، فلا يؤمن بعقيدة يدعى إليها إلا بعد ترو واقتناع، ولا يتبع تشريعاً يشرع له إلا بعد نظر يهديه إلى سلامة التشريع واستناده إلى المنطق السليم، فهو يذم التقليد وينعي على المقلدين لآبائهم وأحبارهم ورهبانهم، لقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: 31)، ولا يعني باتخاذهم أربابا إلا طاعتهم طاعة عمياء والتسليم لهم في كلّ ما يأمرونهم به ويوجهونهم إليه، فكأنهم في نظرهم آلهة تأمر فتطاع، وليس من شك في أن منهج ديننا الحنيف، يصلح لكل جيل ولكل زمان ومكان.

* أن الدين الإسلامي واسع الأفق، وفيه من المرونة واليسر ما يجعله صالحاً لكل الإنسانية على اختلاف ألوانها، وأجناسها وبيئتها، وظروفها " فهو يتسع للحرية الفكرية، ولا يقف فيما وراء عقائده الأصلية وأصول تشريعه على لون واحد من التفكير، أو منهج واحد من التشريع، وهو بتلك الحرية يساير جميع أنواع الثقافات والحضارات، التي يتفتق عنها العقل البشري في صلاح البشرية وتقدمها مهما ارتقى العقل ونمت الحياة.

ويقول أبو زهرة(1980م: 44) إن الإسلام دين العقل، فما من أمر جاء به إلا كان موافقاً للعقل يدركه ويصدقه... وإن النظم التي سنها الإسلام لا تزال برونقها وصفائها أعدل من كلّ ما اهتدى إليه العقل البشري، سواء أكان ذلك في نظام الحكم والمال، أم في نظام الأسرة... فالدين الإسلامي دين عام للثقلين الإنس والجن جميعاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ: 28)، ولا ينبغي أن يفهم بحال من الأحوال، أن قولنا عن الإسلام: إنه أرقى الأديان السماوية وأسماها وأكملها وأوفاها، وأن تشريعاته وتوجيهاته قد بلغت القمة التي لم تبلغها شريعة من قبل، فيه انتقاص لغيره من الشرائع السماوية فليس هنالك مؤمناً ولا مسلماً من ينتقص شريعة سماوية أنزلها الله على رسول من رسله عليهم السلام، وفي ذلك يخاطب الله تعالى أمة الإسلامية بقوله تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 84)، فالذي يجب أن يفهم هو أن كلّ شريعة من الشرائع السماوية تعتبر في منتهى الكمال بالنسبة لأتباعها ؛ لأنه يصدر عن الله تعالى، ومطابقة لحاجات المخاطبين.

فالوازع الديني والأخلاقي يمثل المقوم الأساس الرئيسي لكثير من المجتمعات، إذ أن لكل مجتمع تركيبته الخاصة ومعتقده المعين، وشعائر وطقوس دينية وأطر أخلاقية معيّنة، تتعدد مسمياتها وطرائق ممارستها. وبناءً على هذا التوافق أجمع بعض الباحثين الاجتماعيين على أهمية التديّن في حياة الإنسان، فرداً كان أم جماعة. لهذا بدأ المعتقد الديني بسيطاً وأخذ يتطوّر حتّى وصل إلى درجة من الكمال في الديانات الإلهية لخدمة أهدافه السامية. فالدين لا يقتصر على إقامة الشعائر الدينية فقط، بل يشمل أعمال العباد وأقوالهم وتصرفاتهم اليومية، سواء كان ذلك في بيوتهم أو في أماكن عملهم، كما يعد عنصراً أساسياً من عناصر تنشئة المجتمع، فالوازع الديني والأخلاقي يؤثران على سلوك الفرد وطبيعته ويحققان له السعادة الأبدية، فإذا تمكن الإيمان في قلب كلّ مؤمن، فإنه يكتسب خلقاً جديداً يهذب سلوكه وينقيه من الشوائب ويجعله متسامحاً محباً الخير لنفسه ولمجتمعه نابذاً أعمال الفسق والرذيلة(جودت1997م: 32). فالنزعة الدينية والقيم الأخلاقية الفاضلة يشكلان حجر الأساس في توجيه وتشكيل سلوك الإنسان، حتّى لا يقدم المؤمن الصادق على ارتكاب الجريمة، ولا يعصى ربه. هذا الأمر لم تكتشفه الأنظمة الغربية بالرغم مما وصلت إليه من علم

وقوانين جنائية ونظم اجتماعية، ففي القانون الوضعي إذا انعدم أحد أركان الجريمة سقط الحقّ في الدعوى الجنائية ولا يعاقب المجرم، ولو افترضنا أن رجلاً هم بارتكاب جريمة ثم عدل عنها لأحد الموانع والأسباب الخارجية عن إرادته كعدم وجود الشخص المراد قتله مثلاً، فالقانون الوضعي لا يصل إليه بطبيعة الحال ولا يعالج الواقعة... بينما الشريعة الإسلامية تعالج الجريمة علاجاً ربانياً، إذ بدأت بمجاهدة الآثام والمعاصي وهي داخل القلب قبل خروجها للقضاء عليها، لهذا فإن الوازع الديني يعمل على مقاومة الانحراف والجريمة قبل حدوثها فالضمير يجعل الإنسان دائماً مراقباً لسلوكه محذراً عن ارتكاب الجريمة، وبتتبع الكثير من القضايا نجد أن مرتكبيها يقومون بعملية الاعتراف وبتقديم أنفسهم طواعية إلى أجهزة الشرطة والقضاء وذلك بوحي الضمير الذي لم يهدأ ولم يسكن بل يطالب بعقاب الذات، فمجرد معرفة الإنسان بأن الله يعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد لا يسوق نفسه إلى ارتكاب الجريمة، ولكن بطبيعة الحال فالإيمان والأخلاق درجاتهما متفاوتة من إنسان إلى آخر يزيدان بالطاعات وينقصان بالمعاصي، وفي هذا يقول الغزالي(1987م: 28): " بأن الإيمان قوة عاصمة من الدنايا وطاقة يحرك بها الإنسان فيطارد بها الجريمة... وليس للإيمان مفهوماً معيناً ساكناً في ضمير راقد أو في قلب حاقد ولكن هو طاقة يتحرك بها الإنسان ويؤثر في نفسه ومجتمعه..."(ديورانت1980م: 2)، فالإنسان حين يرتكب الجريمة فإنه يكون في حال من ضعف الإيمان فيرتكب الجريمة حتّى إذا رجع وتاب فإن إيمانه يزيد، ومن هنا يتبين أثر الوازع الديني والأخلاقي في مكافحة الجريمة وفي تهذيب سلوك الفرد المؤمن بالترغيب والترهيب. ولقد أكد الكثير من علماء النفس من خلال الأبحاث التجريبية علاقة الدين بعلاج الأمراض النفسية. فقد نادى (كارل يونغ carol young ) عالم النفس السويسري بوجوب علاج العديد من الأمراض النفسية التي لا تعالجها العقاقير الطبية، ويذكر (برتراند روسل Bertrand) أحد الفلاسفة المعاصرين أن الإنسان في صراعه مع الطبيعة قد انتصر بواسطة العلم، أما في صراعه مع نفسه فلم يحرز نصراً إلا بالإيمان، أيضا ذكر (هنري لنكHinry link ) طبيب النفس الأمريكي صاحب العديد من النظريات الحديثة في مجال علم النفس، إن العلم وحده لا يستطيع إن يحقق السعادة الحقيقية، وهو يعارض بشدة الذين ينكرون الإيمان بالغيب ودوره في تحقيق الرضا والسلامة النفسية، ويذكر بأنه من خلال تجاربه وملاحظاته المتكررة، تأكد له أن الإيمان هو علاج للعديد من الأمراض النفسية، ويشير(دايل كارينجيDial Karenge) إن أطباء النفس يدركون أن الإيمان القوي والاستمساك بالدين كفيل بأن يقهر نصف الأمراض النفسية العصابية، كما يشير(كارل يونغ Carol young)، أيضاً أنه عُرض عليه أشخاص من مختلف شعوب العالم المتحضرة، وعالج مئات من المرضى فلم يجد مشكلة واحدة من مشكلات تعوق تصرفاتهم غير أنهم يفتخرون الإيمان بالله، وخروجهم عن تعاليم الدين الحنيف، لأنهم حرموا سكينة النفس الديني الذي وهبها لهم الرب ولم يبرأ أحد من هؤلاء المرضى إلا حين استعادوا إيمانهم واستعانوا بأوامر الدين

ونواهيه على مواجهة الحياة. فالثقافة الدينية في حد ذاتها لا تعتبر مانعة من ارتكاب الجريمة ولكن لابد أن يكون العلم بالدين مصحوباً بالإيمان والأخلاق الفاضلة والمثل العليا قولاً وعملاً.

وباستعراضنا للإحصاءات والدراسات التي تناولت هذا الجانب نجد أنها أغفلت هذا العامل المهم وهو عامل العمل بتعاليم الدين، فقد اخذ الباحثون في دراسة تباين الأديان لدى نزلاء السجون لإظهار تفاوت معدلات الجريمة والجنوح في أكثر من مجتمع. ففي أوروبا على سبيل المثال وجد كلّ من العالمين (اسشافنبرج Aschaffenburg) و(بونجيرBonger ) أن طائفة الكاثوليك بالذات هي أكثر إجراماً من البروتستانت، وأن الطائفة اليهودية هي أكثر الطائفتين تورطاً في ارتكاب الجريمة (بشارة2014م: 23). فعلى الرغم من تعدد الدراسات التي تطرقت لإظهار علاقة الدين بارتكاب الجريمة وممارسة الشعائر الدينية إلا أنها لم تظهر حقيقة العلاقة الوظيفية بينهما(البغدادي1987م: 66).

وبلا شك فإن مثل هذه العلاقة تفتقر إلى عوامل وظروف أخرى مساعدة، لأن تلك الدراسات لا تعطي دليلاً قاطعاً على أن الفرد ملتزم دينياً أو أخلاقياً، ومطبق لتعاليم دينه قولاً وعملاً، بل إن مثل هذه الأشياء الدقيقة من الأمور الذاتية الشخصية نادراً ما يصيب الباحث كبد الحقيقة ومن الصعب أيضاً أن يدرك صدق الشخص أو كذبه. هكذا يتضح جلياً دور وأهمية الدين والأخلاق في تشكيل وتوجيه سلوك الإنسان... والتي من خلالها يمكن الحكم على مستوى الشعوب وفق الالتزام بما تقرره الشريعة الإسلامية الغراء والقوانين التي تبين معايير وأسس المعاملات الدينية والدنيوية. وقد اختلف موقف البشرية من الرسالات الإلهية أو السماوية، من حيث تمسكهم بها، ووقوفهم عند الحدود الشرعية التي كفلها كلّ ديانة، فمنهم من أركسوا ونكصوا على اعقابهم ومالوا إلى نزوات أهوائهم وشهواتهم، وقد انقسمت البشرية في هذا الصدد إلى فرق شتى منها (دراز1970م: 27):

* فريق اتخذ دينه الذي هداه الله إليه سبيله في الحياة، لا يحيد عنه ولا يميل، فسعد وشق طريقه إلى ما فيه خير الدنيا وسعادة الآخرة.

* فريق آمن بدينه الذي أرشده الله إليه، ولكنه رغم إيمانه به انحرف عنه وبات ظاهراً وباطناً في سلوكه .

* فريق آمن بدينه الذي ارتضى الله له، ولكنه نافق واتخذ التديّن شعاراً زائفاً، يخدع به العامة زوراً وبهتاناً، وقد تنبأ رسول الله ﷺ بهذا الصنف من المنافقين فقال: " يخرج في آخر الزمان رجال يختلون - أي يطلبون - الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب".

* فريق جحد الأديان، وزعم أن فكرة الدين والتديّن أوهام وأباطيل مستحدثة.

* فريق العلمانيين الماديين: وهم الذين لم يستطيعوا أن ينكروا فكرة التوحيد، ولكنهم زعموا زوراً وبهتاناً إن هنالك بعض الأديان لم تعد صالحة في وقت بلغت البشرية فيه ما بلغت من تقدم في العلم ورقي في الحضارة.

وقد ذكر بعض الماديون من أن الديانات سوف تزول، وأن ظاهرة التديّن سوف تتلاشى أمام التيارات المادية دون أن يدركوا بأن فكرة التديّن هي عملية متأصلة في نفسية الإنسان منذ وجوده، فالذي يدعيه الماديون ما ذاك إلا نوع من الغرور والوهم والخيال فليس هناك دليل واحد يؤيد ما يقولونه من أن العلم والدين نقيضان لا يجتمعان، بل على العكس من ذلك فهنالك أدلة كثيرة مادية وعقلية تدل على أن الدين يساير العلم ولا يناقضه بل كلما تقدم العلم خطوة كان الدين عندها، وكلما كشف العلم سر من أسرار الكون، كلما برزت حقيقة الألوهية وازداد العقلاء المتدينون إيماناً فوق إيمانهم، بل وكثيراً ما عاد المفتونون بالعلم والمادة عن فتونهم فآمنوا بأن للكون مبدعاً يجب أن تتعلق به القلوب (دراز1970م: 76). ولقد أشار القرآن الكريم بوضوح إلى أنه لا يتنافي العلم والدين، بل نراه في أكثر من آية يوقظ العقول من غفوتها، وينبه القلوب من غفلتها، لقوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ(الذاريات: 20-21)، وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحقّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: 53)، ولقد أنصف بعض علماء الغرب وفلاسفتهم فأكدوا أن هذه النظرية القائلة باضمحلال الدين والتديّن أمام تقدم العلم نظرية باطلة، وأكدوا أن العلم يخدم الدين ويدعمه، ويقول الدكتور ماكس نوردوه: " أن الديانات ستبقى ما بقيت الإنسانية، وستتطوّر بتطوّرها، وستتجاوب دائماً مع درجة الثقافة العقلية التي تبلغها الجماعة". ويقول آرنست رينان: " إن من الممكن أن يضمحل كلّ شيء، وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة، ولكن يستحيل أن ينمحي التديّن، بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي الذي يريد أن يحصر الفكر الإنساني في المسائل المادية (الهاشمي1963م: 54).

نعم فمن المستحيل أن تتلاشى فطرة التديّن في الإنسان، لأنها أشرف ميول النفس، وأكرم عواطفها... ففطرة التديّن تلازم الإنسان ما دام ذا عقل يعقل به... وستزداد فيه هذه الفطرة حياة وقوة على نسبة علو مداركه، وسمو معارفه.

فالتديّن ظاهرة إنسانية عامة شاملة ملازمة للإنسان، أقرت به معابد وأهرامات ودور مقدسة، كما شهدت به بقايا ما قبل التاريخ بما حوته من نقوش ورموز وآثار ذات صبغة دينية، فالمتتبع للظاهرة الدينية عبر

التاريخ يجدها أكثر تعقيداً وتشعباً، تتشابك فيها مفاهيم عديدة تختلف من دين إلى آخر، يتعذَّر فيها حصر الدين في قالب واحد دون الإحاطة بمقوماتها الأساسية (Jerenny2003: 1057). ومن خلال تعريف الدين نرى أن هنالك محاولةً لمعرفة القواسم المشتركة التي تجمع الأديان السماوية، وليس من الضرورة تعريف الدين بنمط معين حتّى يكون تأثير سلبي على إرساء قوانين تقيد الإنسانية أو تحاول أن تضع جميع الأديان تحت صياغة واحدة، فعلى الرغم من الاقتراحات التي قدمت لحل مشكلة تعريف الدين بما تتفق عليه جميع الأديان إلا أنها ما زالت بعيدة عن تحقيق المراد من إرساء إطار مشترك تجمع حوله الأديان السماوية.

وهنالك ثمَّة ملاحظة جديرة بالتذكير، أن الفكر الإسلامي هو اجتهاد عقلي في فهم النصوص، فالفرق بين الإسلام وبين الفكر الإسلامي هو الفرق بين ما ينسب إلى الله وما ينسب للإنسان، والعلاقة بينهما علاقة تكامل. ولقد أوضح الجرجاني في التعريفات(1363هـ: 54). وخلاصة القول، فالدين هو وضع إلهي يرشد إلى الحقّ في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات. ويبدو من التعريف الإسلامي للدين أنه حصر مسمى الدين في دائرة الأديان الصحيحة، المنبثقة من الوحي الإلهي، وهي التي تتخذ معبوداً واحداً هو الخالق المهيمن على كلّ شيء فالديانة الطبيعية التي تستند إلى العقل، والديانات الخرافية تستند إلى الأوهام والأساطير، والديانات الوثنية التي تتخذ من التماثيل آلهة لا ينطبق عليها تعريف الدين مع أن القرآن الكريم قد سماها كذلك حيث يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل:عمران85).

إن قصور هذه النظرة في الفكر الغربي يكمُن في أن الفلاسفة الغربيين لم يربطوا الحقائق التجريبية بالأديان، وهذا من شأنه أن يخلف خللاً منهجياً هائلاً تنبع من طبيعة الموضوع لذلك اقتصرت الأبحاث الغربية في تاريخ الأديان على دراسة الآثار فقط، ومن هنا عجزت تلك الدراسات التجريبية عن ملامسة طبيعة الدين وجوهره. ومن هنا برزت آراء فلسفية عديدة تنظر إلى أثر الدين من حيث المنفعة، وليس إلى ماهيته وطبيعته، وعلى ضوءها يمكن حصر الأهداف التي عُنى بها الفلاسفة الغربيون في مجملها وفق المحاور الثلاثة الآتية:

* الهدف الاجتماعي: يمثل الدين مستودعاً للقيم الأخلاقية، يراعي كلّ المصالح الإنسانية التي يلتقي حولها البشرية. وقد يتطلع المرء من ربه أن تكون نفسه مجبلاً على الخير مع استدامة الصلاح في الحياة، ويشعر بحاجته إلى الله بالتجربة الدينية الخالية من إشارات العقائد الوثنية،لأن التعاليم الإسلامية ترنو إلى تحقيق سعادة الإنسان بقدر ما ترنو إلى رعاية مصالح الآخرين. وهي كما يذكر مالك بن نبي تدفع الفرد على أن ينشد دائما ثواب الله قبل أن يهدف إلى تحقيق مصلحة بعينها(بن نبي1978م: 248)، فالدين ظاهرة سوسيولوجية تضطلع بأدوار عديدة ليست أخلاقية فحسب بل تمتدُّ إلى أصعدة سياسية واقتصادية، فعلى

الباحث في الأديان أن يدرس هذه الأدوار ما يحدث في المجتمع، ويحدد نسبة الحدث الديني وقوته، وتبيان أثره وتأثيره، وخصوصاً تأثره بالمجتمع الذي يعتنقه، ومن هنا يتضح القصور في فهم الظاهرة الدينية باعتبارها وليدة المجتمع، فهو الذي ينتج الظاهرة الدينية ويوجهها فهي معرفة سلوك البشر (جان بول2001م: 54).

* الهدف النفسي والعاطفي: يضطلع الدين بوظيفة سامية في تلبية حاجات نفسية وعاطفية، فالطقوس الدينية والشعائر التعبدية التي يقوم بها المتدين لها بالغ الأثر في تلبية هذه الحاجات، ومع تنوع الموضوعات الدينية حسب العادات والتقاليد والطقوس تختلف حاجة المتدينين النفسية والعاطفية خاصة عندما يريدون إشباع حاجاتهم ورغباتهم من خلال قيامهم بأداء طقوسهم الدينية، غير أن المسلمين يختلفون في فهم الظواهر السيكولوجية فالدين عندهم التزام أخلاقي من حيث إشباع الأغراض النفسية.

* فكري عرفاني: يسعى المتدين إلى التطلع إلى اليقين ألبرهاني والعقد الإيماني في اعتلاء العروة الوثقى؛ فيسمو سره على الله لينال من روح الاتصال المحبة والوئام (ابن سينا1325هـ: 104)، ومن أشهر من عبر عن هذا الهدف الذي يرجى من الدين العالم ألألماني هيجل الذي عرف الدين بقوله: " إنه المعرفة التي تكتسبها النفس المحدودة لجوهرها كروح مطلق (إبراهيم جعفر1988م: 65). ويدلل هيجل على فكرته على أساس أن كلّ الديانات إنما تتطلع إلى تحقيق اتحاد الألوهية بالإنسانية، وبناءً على ذلك فإن تنوع الديانات في نظر هيجل كأنها مرت بأطوار تدريجية لتحقيق هذه الوحدة نحو الكمال في بناء الشخصية (كينغ1998م: 229). فالمؤكد أن الدين في تاريخه الطويل ظل بجانب الإنسان يمده بإجابات على الأسئلة التي تتعلق بوجود الله سبحانه وتعالى وعلاقة الدين بالمتدينين، ويتضح ذلك جلياً في الرسالات الإلهية. ولقد أجاب الدين على تلك الأسئلة التي شغلت الإنسانية منذ خلقه إلى أن جعله الله خليفة في الأرض، إذ لا يمكن التعويل على التعريفات المسيحية الغربية للدين؛ لأنها مبنية على الشعور النفسي والإحساس الداخلي، فهي إما غير علمية وإما ناقصة ومتحيزة للنموذج الفلسفي المسيحي لا تستطيع أن تفلت منه، وهذا ينطبق على المصطلحات الدينية التي لم يستطع الفكر الغربي الإلمام بمضمونها، ومن أجل تجاوز هذا القصور في تعريف الدين يقترح جارودي إلى ضرورة الاستعانة بالعارفين والحكماء من أجل معرفة أكبر لجوهر الدين واتساقه مع القيم الأخلاقية (جارودي1981م: 128).

وفي خضم تلك التعريفات للدين قد فشل العلماء والفلاسفة في تحديد ماهية الدين؟ وما هي الخصائص والعناصر الجوهرية التي تميز النزعة الدينية أو الشعور الديني بوجه عام، فالدين عندهم هو حالة نفسية داخلية بمعنى التديّن، أي الاعتقاد بوجود ذات أو ذوات غيبية علوية لها شعور واختيار، ولها تصرف وتدبر واعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجد،

وبعبارة موجزة هو الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة. أما إذا نظرنا إليه من حيث هو حقيقة خارجة فالدين هنا هو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها. ومن خلال معطيات النزعة الدينية استخدم مؤرخو الأديان ألفاظ الرؤية الكونية والأيديولوجية للأديان بمعان متقاربة، ومن معاني الرؤية الكونية أنها عبارة عن مجموعة من المعتقدات والنظريات الكونية المتناسقة حول الكون والإنسان، ومن معاني الأيديولوجية الدينية أنها عبارة عن مجموعة من الآراء الكلية المتناسقة حول سلوك الإنسان وأفعاله، وعلى ضوء هذين المعنيين يمكن أن يعتبر النظام العقائدي والأصولي لكل دين هو رؤيته الشاملة، لنظام أحكامه العملية الكلية والإيديولوجية، ويتمثلان في أصول الدين وفروعه، على التأكيد بأن مصطلح الأيديولوجية لا يشمل الأحكام الجزئية، كما أن مصطلح الرؤية الكونية لا يشمل المعتقدات الجزئية (جان بول2001م: 22).

## خاتمة

لقد نهجت الأديان السماوية منهجاً توافقياً في تفسير نزعة التديّن عند البشرية، وخلصت إلى أن هذه النزعة قديمة قدم الإنسان، وقد لعبت الأديان دوراً كبيراً في تكوين الشخصية المتدينة لتصل إلى ذروة الكمال البشري في الإذعان والاعتقاد بوجود الله عن طريق الحس والمشاهدة والتصور الفكري السليم. كلّ تلك الحقائق من الأمور البديهية التي تؤكد أهمية العلم والمعرفة في حياة البشرية. كما كشفت الدراسة على أن الإسلام قد حذر المؤمنين من مغبة طغيان النفس في حب الدنيا على الآخرة ودعاهم إلى إعمال القلوب عن التزود للآخرة، وتخليص النفس من هواها.

فالذين يحملون نزعة التديّن في أنفسهم هم أكثر الناس تندراً بالعذاب والويل والهلاك وأكثرهم استعداداً لمجابهة الحركات الاستلابية والتنصيرية التي تواجه العالم اليوم. فالمحن والشدائد يجب أن تبعث في النفوس معاني الإصرار على الحقّ والثبات، كما ينبغي أن تدفع إلى مراجعة الأخطاء وتعبئة الضمير القوي على الاستفادة من الأحداث الكونية والتجارب العلمية.فلم تسع الأديان إلي خلق النظريات، بقدر ما تسعى إلى تطبيق العلم والعمل وفق المنهج التربوي الذي استخدمه الأنبياء والرسل لبناء الشخصية السوية التي يمكن أن تحمل في وجدانها قوة الروح، ومتانة الفكر والسمو في الخلق.

## قائمة المراجع

1. الجزائري، أبوبكر جابر (1998م). منهاج المسلم. مكتبة العلوم،المدينة المنورة.

2. حبيب سعيد(بدون تاريخ). أديان العالم. مطبوعات الكنيسة الاسقفية للنشر،القاهرة.

3. سعيد حوى(1981م).الإسلام.القاهرة. دار الفكر العربي، لبنان

4. سيد قطب(1982م). في ظلال القرآن. دار الشروق، القاهرة.

5. شلبي،أحمد(1997م). الإسلام. مكتبة النهضة المصرية،القاهرة.

6. شلتوت(1998م). الإسلام عقيدة وشريعة. دار الشروق،بيروت.

7. الصابوني،محمد علي(1981م). صفوة التفاسير. دار القرآن الكريم،بيروت.

8. الطبري،محمد إبن جرير(1974م). جامع البيان عن تأويل القرآن. تحقيق محمود شاكر،دار المعارف، مصر.

9. دراز، عبدالله محمد(1992م). الدين. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

10. علي عبدالعزيز،رشاد (1999م). علم النفس الدعوة .المكتب العلمي للكمبيوتر للنشر والتوزيع، الاسكندرية.

11. القرطبي(1387هـ). الجامع لأحكام القرآن.دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،القاهرة.

12. قطب،محمد(1983م). في النفس والمجتمع.دار الشروق،القاهرة.

13. النشار،علي سامي(1949م). نشأة الدين. دار نشر الثقافة،القاهرة.

14. النيسابوري،مسلم إبن الحجاج(1377هـ). صحيح مسلم. مطبعة مصطفى البابي وأولاده،القاهرة.

15. الهاشمي،طه(1963م). تاريخ الأديان وفلسفتها.دار مكتبة الحياة،بيروت،لبنان.

16. هانس،كنج(1998م). مشروع أخلاق عالمي.ترجمة جوزيف معلوف وآخرون.المكتبة البوليسية،لبنان.

17. محمد عبده(1980م). رسالة التوحيد.مكتبة الهلال،القاهرة،ط1.

18. الهاشمي،طه(1963م).تاريخ الأديان وفلسفتها. دار مكتبة الحياة،بيروت،ط1.

19. العسقلاني،ابن حجر(1213هـ).فتح الباري في شرح صحيح البخاري.دار العلم،القاهرة،ط3.

20. الأصفهاني،راغب(بدون تاريخ).المفردات في غريب القرآن.مكتبة دار العلم،القاهرة،ط2.

21. بطرس،عبد الملك،وآخرون(1995م).قاموس الكتاب المقدس.دار الثقافة،الاسكندرية،ط1.

22. جارودي،روجيه(1999م). من أجل حوار الحضارات.دار النفائس،الكويت،ط1.

23. الجرجاني(1363هـ).التعريفات.تحقيق إبراهيم الإيباري،دار الكتاب العربي،بيروت،ط2.

24. جعفر،محمد كمال(بدون تاريخ).الدين المقارن. دار الكتب الجامعية،القاهرة،ط1.

25. جودت، سعيد(1997م).لا إكراه في الدين. دراسات وأبحاث في الفكر الإسلامي.مطبعة العلم والسلام،دمشق،ط1.

26. حسن،سمير إبراهيم خليل(2001م).الدين خرافة أم علم. دار الساقي،بيروت،ط1.

27. ابن كثير،محمد(1337هـ).تفسير القرآن العظيم. دار العلوم،بيروت،ط2.

28. لاروس(بدون تاريخ).المعجم العربي. دار الجيل،بيروت،ط2.

29. الغزالي، محمد(1989م). مائة سؤال عن الإسلام. دار التراث للنشر والتوزيع،القاهرة،ط1.

30. ديورنت،وول(1980م).عصر الإيمان. ترجمة سايمون وشوستر،نيويورك،ط1.

31. البغدادي،أحمد(1978م). تجديد الفكر الديني.دار النفائس،الكويت،ط1.

32. جان بول، وليم(2001م). الأديان في علم الاجتماع. ترجمة بسمة بدران، المؤسسة الجامعية،بيروت.

33. بوكيت، أميريكين(1990م). مقارنة الأديان. ترجمة رنا سامي الخش، دار الرضوان،ط1

34. آرنست رينان(بدون تاريخ). تاريخ الأديان.مكتبة العلم. القاهرة،ط2.

35. Hazard,I,A.(1929).Psychology and Ethics. New York.*

36. * Rotter,J,B.(1954).Social Learning and Clinical Psychology. Englewood Lilts.

37. *Jerenny, G,2003. the Complexity of Religion and the Definition of Religion inInternational Law ( Harvard Human Rights Journal.vol 16.